مفهوم كلمة «الليل» في العصر الجاهلي و في صدر الاسلام*

دكتر حسن دادخواه
عضو هيأت علمي دانشگاه شهيدچمران اهواز
دكتر حسين چوبين

الخلاصه

يدور هذا التحقيق حول مفهوم كلمة « الليل» و استعمالها في العصر الجاهلي و في صدر الاسلام، و قداعتمدنا في كتابة هذا البحث علي معاني كلمة « الليل» كما جاءت في أشعار الشعراء قبل الاسلام، و هي مرآةٌ تعكس لنا المفاهيم التي كانت سائدةً في العصر الجاهلي، كما اعتمدنا علي ما جاءَ في آيات القرآن الكريم حول «الليل»، و هذه الآيات الشريفه هي أوثق مصدر يمكن أن يُرجع اليه في صدر الاسلام وبعده .

و في الختام أجرينا مقارنة باختصار بين معاني هذهالكلمة في العصر الجاهلي و في صدر الاسلام.

مفاتيح البحث: الليل، الشعر، الجاهلية، القرآن الكريم.

*تاريخ دريافت مقاله: ٨٤/٢/٢٨ — تاريخ پذيرش مقاله: ٨٤/٦/٣١

التمهيد:

الليل، هذه الكلمة الصغيرة في مبناها و الكبيرة في معناها قد ردّدها كثير من الشعراء الجاهليون، من سعيدهم و شقيّهم، و غنّيهم و فقيرهم. و هم الجاهليين وصفوا الليل و صفاً حسيّاً، صادقاً جميلاً، و رسموا حالهم و عبّروا عن أحاسيسهم و عواطفهم فيه. و فنعرض لهذه المواضيع، في هذه المقالة باذن الله[1].

أسماءُ الليل

(أ) الجديد: و الجَديدان: الليل و النهار، و ذلك لأنهما لايَبْلَيان أبداً.

قالت الخنساء:

انَّ الْجديدَيْنِ في طُولِ اخْتِلَافِهِما لايَفْسُدَانِ و لكنْ يَفسُدُ النَّاسُ [2]

(ديوان، حد، ١٩٩٣، ص١٥٥)

(ب) الخابل: و الخابلان: الليل و النهار.

قال مهلهل بن ربيعة:

لَو كنْتُ اقْتُلُ جِنَّ الخَابلَيْنِ كَمَا قَتَلْتُ بَكْراً لأضحَى الجِنُّ قدنَفِدَا [3]

(ديوان، ص ٢٨)

(ج) الصريم: و الأصْرَمان: الليلُ و النهارُ، لأن كل واحد منها انْصَرَم عن صاحبه.

قال زهير بن أبي سلمي:

بَكَرْتُ عَلَيْه، غُدْوة، فوجدتُهُ قُعُودالَدَيه، بالصَّريم، عَوازِلُهْ

(ديوان، ١٩٩٢، ص ١٢٣)

(د) الكافر: قال لبيد بن ربيعة العامري

حتّـــــى اذا ألْقَـــتْ يَـــداً في كافـــر وَأجَـــنّ عَـــورَاتِ الـــثّغورِ ظَلامُهـــا[٤]

(زوزني، ٢٠٠١، ص ١١١)

أسماءُ ليالي الشهر

(أ) الغُرّة: و غُرّة الشهر: ليلةُ استهلال القمر لبياض أولها.

(ب) السواء: ليلة السواء: هي ليلة أربَع عشرةَ من الشهر أو ثلاثَ عشرةَ، فيها يَسْتَوي القمر و يكمُل، و ذلك اذا إتّسق، و اتّساقه: استواءه قيل: لأنه يستوي في ليلها و نهارها.

(ج) التّمام: ليلة التّمام: ليلة السّواء (السابقة). ويقال: ليلُ التّمام أيضاً، بالكسر لاغير، و قيل انه أطول مايكون من لَيالي الشتاء.

(د) المُحمِقات: المحْمِقاتُ من الليالي: التي يَطلُع القمر فيها ليله كلّه فيكون في السماء ومن دونه سَحاب، فتري ضوءاً و لاتري قمراً، فتظُنُّ أنّك قد أصبحت و عليك ليل.

(ر) الدّرعاء: ليلة دَرعاء: ليلة يطلع القمر فيها عند وجه الصبح و سائرها أسود مظلم. والليالي الدُّرَع و الدُّرع: هي ليلة ستٌّ عَشرة و سبع عشرةَ و ثماني عشرة و ذلك لسواء أوائلها و بياض سائرها.

(س) الظُّلم: ثلاث ليال يَلين الدُّرع (السابقة).

(ص) الْجنادِس: الْحَنادِس: ثلاث ليال بعد الظُّلم.

(ط) الدّعجاء: أولى ليالي المَحاق، و هي ليلة ثمانٍ و عشرين.

(ع) الدّهماء: ليلة تسع و عشرين، من الدُّهْمة و هي السواد.

(ف) اللّيْلاء: ليلة الثلاثين، وذلك لظلمتها.

(ك) المِحَاق و المُحاق: آخر الشهر اذا امحق الهلال فلم يُرَ.

(ل) الدّأداء: والدٌ آدِيءٌ: ثلاثُ ليالٍ من آخر الشهر بَعْد المِحاق.

وقيل: سمّي دَأدِيءَ لأن القمر فيها يُدأدِي الي الغُيوب أي يُسْرِعُ.

قال الأعشي:

تَـدارَكْـهُ فِـي مُنْصِـلِ الْـأَلّ بَعْدَمَـا
مَضَـى غَيْرَ دَأْدَاءٍ و قَدْكَادَ يَعْطَبُ *

(ديوان، ص ٢٠٣)

اوقات النهار و تواليها

يقال لأوّل وقت من النّهار، الصباح، ثُمّ البُكور قبل طلوع الشّمس، ثُمّ الغُدْوة بعد طلوعها ثُمّ الاشراق، ثم الهاجِرةُ اذا كانت الشمس في كبد السماء، ثُمّ الظهيرَة، ثم الرواح اذا أدبَر النّهار و راح، ثُمّ العَصر، ثُمّ الأصيل، ثم المساء، ثم الطفوف، ثم العَشيّ و هو آخر ساعة من النّهار. و يقال لأول ساعة من الليل، الشّفَق [٦].

انواع الليالي و ما يجري فيها عندالشعراء الجاهليين

في هـذا المجـال نتناول أهمّ ماجاء عند الشعراء الجاهليين عن الليل و المكانة التي احتلّها، و نتـناول أيضاً وصفهم ايـاه، كما نتناول أحوالهم النفسية المختلفة التي رسموها لنا، في اطار هذا الزمن المرموز، كمايلي:

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

(١) ليالي المغازلة:

اذا كـان الـيل يتمثّل بالسكون و الهدوء، و ظلامهُ يتمثل بالحُجُب و الستور، و يذهب بنور عـيون الرقـباء و الوشـاة و العـذّال، وفي الوقت نفسه يكون وقت خفاء الأفعال و كتمان الأسرار، فهو مراد المحبّين.كما قال عنه الشاعر:

و يـــا لـــيلُ ســـترُاللهِ أنـــتَ وَسِـــرُّهُ
و حضـنُ الهـوى يـا ليلُ أنتَ فَهَلْ تدري

(عجان، ٢٠٠١، ص ٣٣)

و المـراد بالمغازلـة الشـعر الذي يدور حول صفات النساء، أو ميل الرجال اليهنّ، أو التحدّث عنهنّ، أو اللهو بهنّ، أو تخيلّ قول فيهنّ، أو صدودهنّ أو وصالهنّ فنستطيع أن نُدخِل في اطار الغزل، الموضوعات التالية:

(١-١) ليالي الوصل و اللقاء:

الوصل أمل المحبيّن و حُلم العاشقين و غاية المَتْبُولين و نهاية المتيمين. فلهذا المحبّ لاينوي شيئاً من تغزّله الاّالوصال و اللقاء، فكلّ هذا لاحظناه في الشعر الجاهلي. قال امرؤالقيس:

و بَيْضَةِ خِدْرٍ لايُرَامُ خِبَاؤُها
تمتّعْتُ مِن لَهْوٍ بها غَيْرَ مُعْجَلِ [٧]

فَجَاوزْتُ أحْرَاساً اليْها وَ مَعْشَراً
علَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي [٨]

اذا مَا الثُّرَيَّا في السَّماء تَعَرَّضَتْ
تَعَرُّضَ أثْناء الوِشَاحِ المُفَصَّلِ [٩]

فَجِئْتُ وَ قَدْ نضَتْ لِنَوْمٍ ثِيابَها
لَدَى السِّتْرِ الَّا لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ [١٠]

فَقَالَتْ : يَمِينَ اللهِ مالَكَ حِيلَةٌ
وَمَا انْ أرَى عَنْكَ الغَوايَةَ تَنْجِلي [١١]

خَرَجْتُ بِها أمشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا
عَلَى أثَرِنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ [١٢]

(زوزني، ٢٠٠١، صص ٤٤-٤٠)

(٢-١) ليالي اللهو و اللعب:

لمّا كان ذكر صفات النساء أوميل الرجال اليهنّ، أو التحدث عنهنّ، أو حتّي تخيّل قولٍ فيهنّ يدخل اطار الغزل، فبديهّي أن يدخل التحدث عن اللهو بهن ايضاً في اطار الغزل.

فالشعراء تحدثوا كثيراً عن ليالي لهوهم و في مقدمتهم امرؤ القيس و بعده الاعشي.

كما انّ بعضهم يصفون لهوهم بالنساء، من الليل الي الصباح، فهذا يجعلنا أن نعدّ هؤلاء من الشعراء الساهرين للهو، كعنترة بنشدّاد في قوله:

لَهَوْتُ بها و الليل أرخى سُدولَهُ
الَى أن بدا ضَوْءُ الصَّباح المهلّلِ

(ديوان، ص ٢٩)

(٣-١)ليالي طروق الخيال:

لمّا كان الشعر المعنيّ بصفات النساء و ميل الرجال اليهن و الحديث عن جمالهن و خصالهن، و ما يشبه هذا المعني يدخل في اطار الغزل فإذن حديث الشعراء عن طيفهن و ما يثيره في أنفسهم من تباريح الحبّ أيضاً يدخل في مدار الغزل قال طرفة بن العبد:

أرِقَ العَيْنَ خَيال لَمْ يَقِرْ
طافَ و الرَّكْبُ بصَحْراء يُسُر [١٣]

جازَت البيدَ الى أرْحُلِنا
آخِرَ اللَّيْل بَيَعْفُورٍ خَدِرْ [١٤]

(ديوان، ص٤٦)

(٢) ليالي المسامرة

إذا تصفحنا دواوين الجاهليين و دقّقنا النظر فيها وجدنا أبياتاً كثيرة تشير إلي المساهرة و اليقظة و قدطالعنا تلك الأبيات و إستخرجنا منها الأهمّ، فندرسه مبيّنين فيه دواعي المساهرة علي الشاكلة التالية :

المسامرة : إجتماع شخصَين أو أشخاص في الليل للحديث . نحو قول امريء القيس:

فَقَالَتْ سَبَاكَ اللهُ إنَّك فاضِحِي
ألسْتَ تَرَى السُّمَّارَ و الناسَ أحْوالى [١٥]

فقُلْتُ يَمِيَن اللهِ أبْرَحُ قاعِداً
ولوقَطَعوا رَاسِي لَدَيْكِ وأوْصَالِي

حلفتُ لها بالله حَلْفَةَ فاجِرٍ
لَنَامُوا فما انْ مِنْ حَديثٍ ولاصَالِ [١٦]

(ديوان، ١٩٦٤، ص ٢١)

(١-٢) ليالي المنادمة :

المنادمة مجالسة الندماء و الرفقاء على الشراب، نحو قول الأعشي الكبير:

أَتاني يُؤامِرُني في الشُمُو ل لَيْلاً فَقُلْتُ لَهُ غادِهَا [17]

أَرِحْنا نُبَاكِرُ جِدّ الصَّبُو حِ قَبْلَ النُّفُوسِ و حُسّادِها [18]

فَقُمْنا و لَمّا يَصِحْ دِيكُنا الى جَوْنَةٍ عِندَ حَدّادِها [19]

تَنَخّلَها مِنْ بِكارِ القِطاف أُزَيْرِقُ آمِنُ اكْسادِهـا [20]

فَقُلْنا لَهُ هذِهِ هَاتِهَا بأَدْماءِ فِي حَبْلِ مُقْتادِها [21]

(الحتّي، ص ١٢٢)

(٢-٢) ليالي الوجد و الشوق :

الوجد و الشوق قديجعلان الانسان ان يسهر و لاينام. قال الأعشي الكبير:

نَامَ الخَلِيُّ وَ بِتُّ اللَّيلَ مُرْتَفِقَا أَرْعَي النُّجُومَ عَمِيداً مُنْبَتّاً أَرِقَا

أَسْهُو لِهَمّي وَ دَائِي فَهْيَ تُسهِرُنِي بَائِتْ بِقَلْبِي وَأَمْسِي عَنْدَهَا غَلِقَا

يَالَيْتَهَا وَجَدَتْ بي مَا وَجَدْتُ بِهَا وَكَانَ حُبّ وَ وَجْد دَامَ فَاتَّفَقَا

(همان، ص ٣٦٥)

(٣-٢) ليالي الهمّ و الغمّ:

الحزن علي الأحباب المفقودين كان أيضاً من دواعي السهروالیقظة؛ قالت الخنساء ترثي صخراً:

يَاعَيْنُ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكِ مِغْزَارِ و ابْكِي لِصَخْرٍ بِدَمْعٍ مِنْكِ مِدْرَارِ [22]

إِنِّي أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَّيل سَاهِرَة كأنما كحِلَتْ عيني بِعُوّارِ [23]

أَرعَى النجومَ وما كُلِّفْتُ رعْيتها وتارةً أتَعَشّى فَضْلَ أطمارِ [24]

(٣) ليالي السُّرور

لـيالي السُّرور هي ليالي الفرحة و البَهْجَة، و المَسرَّة و الغِبطَة، و الليالي الحلوة التي يفوز فيها الحبيب بوصال حبائبه، أو الليالي الصالحة التي يظفر فيها الانسان بعيش صالح ناعم. قال عنترة بن شدّاد:

سَقَتْكَ يا عَلَم السَّعديّ غادِيةٌ
مِنَ السَّحابِ وروّيني ربْعَكَ المطرُ[٢٠]

كم ليلةٍ قد قَطَعْنا فيك صالحةٍ
رَغيدة صَفْوُهَا ما شابَهُ كَدَرُ

مَعْ فِتْية تتعاطى الكأسَ مُتْرعةً
من خَمرةٍ كلَهيبِ النار تَزْدَهِرُ

تُديرُها من بناتِ العُربِ جاريةٌ
رشيقةُ القدّ في أجفانها حَوَرُ

إن عِشْتُ فهي التي ما عِشْتُ مالِكَتي
وإن أمُتْ فالليالي شأنُها العِبَرُ

(ديوان، ٢٠٠٢، ص ٦٥)

(٤) ليالي التلهُّف و التحسّر

لَمّا يفرح الانسان و يبتهج بلياليه الحلوة و الممتعة فبديهيّ أن يحزن و يتحسّر علي ضياعها: قال الأعشي الكبير:

وإنَّ أخاكِ الَّذي تَعْلَمِينْ
لَيَا لِيلَنا إذْ نَحُلُّ الجِفَارَا[٢١]

تَبدّلَ بَعْدَ الصِّبي حِكْمَةً
وَ قَنْعَهُ الشَّيْبُ مِنْهُ خِمَارَا

(ديوان، ص ٤٥)

(٥) ليالي الضيافة

اشتهر العرب بالكرم والجود، و الأفضل ان نقول: «لم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم، وقد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية و ما فيها من اجواب و امحال فكان الغني بينهم يفضل علي الفقير و كثيراً ما كان يذبح ابله في سنوات القحط، يطعمها عشيرته، كما يذبحها قرير العين لضيافة الذين ينزلون به او تدفعهم الصحراء اليه. و من سننهم انهم كانوا يوقدون النار ليلاً علي الكثبان و الجبال، ليهتدي اليهم التائهون و الضالون في الفيافي، فاذا وفدوا عليهم امنوا حتي لوكانوا من عدوهم، و يدور في شعر هم الفخر بهذه الميزات و ان كلابهم لا تنبح ضيوفهم لما تعودت من كثرة الغادين و الرائحين». (ضيف، ص ٦٨).

واشتهر عندهم بالجود و الكرم كثيرون، مثل حاتم الطائي الذي ضربُت الأمثال بكرمه، و هو يصوركرمه في كثير من شعره، كقوله:

اذا مـا بَخـيلُ القَـوْمِ هَـرَّتْ كِلابـهٌ
وَشَقَّ علي الضَّيْفِ الضَّـعيفِ عَقُورُها [٢٧]

فَـإنّي جَـبانُ الْكلـبِ بَـيْتي مُوَطّـأ
أجـوُدُ اذا مـا الـنَّفسُ شَـحَّ ضَـميُرها[٢٨]

(الفاخوري، ١٩٩١، ص ٤٤)

(٦) ليالي ذكر الأحبة

ان الليلَ « فيه تجـمُّ [٢٩] الأذهان، و تنقطع الأشغال، و يصح النظر، و تؤلّف الحكمة، و تدرّ الخواطر، و يتسع مجال القلب...» (القيرواني، ص ١٤٨) فذكر الأحبة فيه شيء بديهيٌّ، قال زهيربن ابي سلمي:

تـأوّبَني ذكُـر الأحِـبّة، بَعـدَ مـا
هَجَعْـتُ و دونـي قُلّـةُ الحَـزَنِ [٣٠]

(ديوان، ص ٩٩)

(٧) ليالي الشدائد و المصائب:

ليالي الشدائد: ليالي التي تنزل فيها علي الإنسان نائبة من نوائب الدهر، او بعبارة اخري؛ الليالي التي تضيق فيها الصدور، و تذهل فيها العقول من شدتها و نكارة امرها. قال زهير بن أبي سلمي:

تُساقُ إلى قومٍ، لقومٍ غرامةً
صَحيحاتِ مالٍ طالعاتٍ بمَخْرمِ [٣١]

لحَيّي حِلالٍ يعصمُ الناسَ أمرُهُم
إذا طَرَقَتْ إحدى الليالي بمُعظَمِ

(زوزني، ٢٠٠١، ص ٨٥)

و قالت الخنساء:

ألا لا أري في الناسِ مِثْلَ مُعاوِيَهْ
إذا طَرَقَتْ إحدى الليالي بداهِيَهْ

بداهِيَةٍ يُصغي الكلابَ حَسيسُها
وَ تَخْرُجُ مِنْ سرِّ النَّجيِّ عَلانِيَهْ [٣٢]

(ديوان، ١٩٩٣، ص ١٧)

(٨) ليالي القُر:

غالباً تُذكر الليالي الباردة تبياناً لشدة الزمان، و تعظيماً للقائم باعمال انسانية أو بطولية فيها، كمانري فى الابيات التالية:

قال امرؤ القيس:

لَنِعْمَ الفتي تعشُو الي ضَوءِ ناره
طريفُ بن مالٍ ليلةَ الجوُع والخَصَر[٣٣]

اذا البازلُ الكوماءُ راحَتْ عَشِيةً
تُلاودُ من صَوْتِ المُبسِّينَ بالشَّجَر[٣٤]

(ديوان، ١٩٦٤، ص١٤٢)

وقال الشنفري واصفاً ليلة بطشه، الشديدة البرد، مُفاخراً بأعماله البطولية فيها:

و ليلةِ نحسٍ، يصطلي القوسَ ربُّها
وأقطُعَــهُ اللاتــي بهــا يتنــبل [٣٥]

(٩) ليالي المطر:

السّواري هي السحب الماطرة ليلاً قد جاء ذكرها كثيراً في الشعر الجاهليّ، على النحو التالي: قال لبيد بن ربيعة العامري:

رُزِقَــتْ مَرابــيعَ النُجومِ وصــابها
وَدْقُ الــرَّواعِدِ جودُهــا فــرِهامُها [٣٦]

مِــنْ كــلّ ســاريةٍ وغــادٍ مُدجــنٍ
وعشــيةٍ مــتجاوبٍ إرزامُهــا [٣٧]

(زوزني، ٢٠٠١، ص ١١٤)

(١٠) الليالي التهيّؤ للرحيل:

كانت الجمال تُهَيَّا للرحيل، قال الأعشي الكبير:

أتَصْــرِمُ رَيّــا أمْ تُديــمُ وِصــالَها
بَــلْ الصَّــرْمَ اذ زمّــتْ بلَــيلٍ جِمالَهــا

(ديوان، ص ٣٤٤)

وكان تهيؤ المطايا في الليل لأجل الرحلة في الصباح المبكر؛ وذلك لان العرب كانت تفضله لإتساع الوقت امام المسافر قبل اشتداد الحرّ.

وفي مجال الإرتحال في الصباح المبكر اشعار كثيرة منها قول الأعشي الكبير:

رَحَلَــتْ سُــمَيَّةُ غُــدوةً أجْمالَهــا
غَضــبى عَلَــيكَ فَمــا تَقُــولُ بَدالَهــا

(ديوان، ص ٢٧)

و الليل لم يكن وقت اعداد الركاب للرحلة فى الصباح بل كان زمن الإرتحال ايضاً: قال امروء القيس:

وَ حَدَّثْ بأنْ زالتْ بليل حمولُهُم
كَنَخْلٍ مِنَ الأعراضِ غير مُنَبقِّ

(ديوان، ١٩٦٤، ص ١٦٨)

(١١) ليالي السفر:

اخبر الشعراء عن اسفار هم و اقتحابهم الأهوالَ ليلاً؛ قال تابط شراً

وشِعْبٍ كَشَلِّ الثُّوبِ، شَكْسٍ طَريقُهُ
مَجامعُ صُوحَيْهِ نِطافٌ مَخاصُر[٣٨]

تَعَسَّفْتُهُ باللَّيْلِ، لَمْ يَهْدِني لَهُ
دليلٌ وَلَمْ يُحْسِنْ لِيَ النعتَ خابرُ[٣٩]

(ديوان، ١٩٩٩، ص ٩٤)

و الجاهليّ كان يعرف النجوم ويهتدي بها في اسفاره؛ قال علقمة الفحل:

هَدانِي اليك الفَرقدانِ و لاحِبٌ
لَهُ، فوقَ اصواءِ المِتانِ، عُلُوب[٤٠]

(الشنتمري، ١٩٩٣، ص ٢٧)

(١٢) ليالي الخوف و الذعر والوحشة:

وصف الشعراء احياناً ليالى الصحراء، بالوحشة و شبهوا وحشتها بصوت البوم و الضُّوَع؛ قال الأعشي الكبير:

لايَسْمَعُ المرءُ فيها ما يُؤنِسُهُ
باللَّيلِ إلاّنئيم البومِ و الضُّوعا[٤١]

(ديوان، ص ٢٠١)

وكذلك شبهوا وحشتها بعزيف الجنّ ؛ قال الأعشي الكبير:

وبلـدةٍ مـثل ظَهْـر الـترُس مُوحشـةٍ
لِلْجِـنِّ باللَّـيْلِ في حافاتهـا زَجَـلُ

(همان، ص ١٢٦)

(١٣) ليالي الاغارة:

و أخبر الشعراءُ عن غارات فى الليل على الشاكلة التالية:

قال الشنفرى:

ولـيلةِ نحـسٍ، يصـطلي القـوسَ ربُّهـا،
واقطُعَـهُ اللاتـي بهـا يتنـبل

دَعَسـتُعلـيغَطْـش وبَغْـش،وصُـحْبتي
سُـعارٌ، وإرزيـزٌ و وَجْـرٌ، وافْكـلُ

فأيَّمـتُ نسـواناً، و أيتمـتُ ولـدةً
وَعُـدْتُ كما أبـدأتُ، و اللـيلُ أَلـيلُ [٤٢]

(ديوان، ١٤١٧، ص٦٩)

(١٤) الليل الطويل الثقيل و التضجرمنه

وشكا الشعراء طول الليل و اخبروا عن تضجر هم عنه علي الشاكلة التالية:

قال المهلهل :

أَلَيْلَتَـنا بـذي حُسُـمٍ أنـيري
إذا انـتِ انْقَضَـيْتِ فـلا تَحُـوري [٤٣]

فَـإنْ يَـكُ بالذَنائـبِ طـالَ لـيلي
فَقَـدْ أبكـي مـن اللّـيل القصـيرِ [٤٤]

وَأنقذنـي بَـياضُ الصُّـبْحِ مِـنْها
لَقَـدْ أُنقـذتُ مِـنْ شـرٍّ كـبيرِ

كـأنَّ الْفَـرْقَدَيْنِ يَـدا بَغـيضٍ
أَلحَّ عَلَـى إفاضـتِه قَمـيرِ [٤٥]

أرقْـتُ وَصـاحبي بجَـنُوبِ شِـعْبٍ
لِـبَرْقٍ في تهامَـةَ مُسْـتَطيرِ

(ديوان، ص ٣٩)

(١٥) ليالي الظلام

قدوصف الشعراء الجاهليون الليل بالظلام كثيراً و لهم في وصفها تعابير خاصة وجميلة منها:

(أ) الليّل «ارخي سدوله» قال امروء القيس

وَلَـيْلٍ كَمَـوْجِ الـبَحْرِ أرخـــى سُـدولَهُ
عَلَـــيَّ بـــانواعِ الْهُمُـــومِ لِيَبْـــتَلي

(شيباني، ص ١٥٥)

(ب) «الليلُ اليلُ » قال الشنفرى:

فَأَيْمَـــتُ نِســـواناً، وأيْتَمْـــتُ ولـــدةً
وَعُـدْتُ كمـا أبـدأتُ، و اللَّـيْلُ الـيلُ

(ديوان، ١٤١٧، ص ٦٤)

(ج) «الليل معتكر» قال عنترة بن شداد

أطـوي فـيافي الفَـلا و اللـيلُ معْـتكِرُ
وَأقطـعُ البـيدَ و الرّمضـاءُ تَسْـتَعِرُ[٤٦]

(ديوان، ٢٠٠٢، ص١٠٥)

(د) «الليل مطرق» قال المتلمس:

حَنَّـتْ قَلُوصـي بهـا، واللَّـيْلُ مُطْـرِقُ
بعـد الهُـدوء، وسـاقَتْها النواقـيس[٤٧]

(ديوان، ص ١٠١)

(ر) «ليل دامس»؛ قال عروة بن الورد :

وَلَقَـــدْ أتيُـــتكُم بلـــيْلٍ دامـــسٍ
وَلَقَـــدْ أتيـــتُ سَـــراتَكُمْ بـــنَهارِ[٤٨]

(ديوان، ص ٥٩)

(س) «ليل بهيم»؛ قال حاتم الطائي:

ولـــيلٍ بَهـــيمٍ قَـــدْ تَسَـــرْبَلْتُ هَوْلَـــه
إذا اللَّـيلُ بالـنُّكسْ الضَّـعيفِ تَجَهَّمـا[٤٩]

(ديوان، ص ٣٠٧)

(ص) «ليل مظلم»؛ قال عنترة بن شداد:

إنْ كنـــتِ ازمعـــتِ الفـــراقَ فانّمـــا
زُمَّـــتْ رَكـــابُكُم بِلَـــيْلٍ مُظْلِـــمِ

(ديوان، ٢٠٠٢، ص ١١٨)

(ط) «ليل اسود»؛ قال عنترة بن شداد:

وَذَوابـــلُ السُّـــمر الدقـــاق كأنّهـــا
تَحْـتَ الْقَـتامِ نُجـومُ لـيَلٍ اسْـوَد [٥٠]

(همان، ص ١١٨)

(ع) ليلٌ حالكٌ؛ قال امرؤ القيس:

فبـــتُّ بِلَـــيْلةٍ بتَّـــت هُمُومـــي
بهـــا مـــن طـــول حالِكـــةِ السَّـــوادِ

(ديوان، ١٩٦٤، ص ٢٨٨)

(ف) ليل غيهب: قال امرؤ القيس

تلافيـتُها و الـبومُ يَدْعُـو بهـا الصَّـدى
وَقَـدْ أُلبِسَـتْ افـراطُها ثِـنْي غَيْهَـبِ [٥١]

(همان، ص ٣٨٤)

(ق) ليل عظلم؛ قال الأعشي الكبير:

وَولىَ عُمَـيرٌ و هْـوَ كـابٍ كَأَنَّمـا
يُطلَـى بحُـصٍ اوْ يُغَشَّـى بِعِظْلِـمِ [٥٢]

(ديوان، ص ١٢٧)

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

(ك) ليل دَجي: قال عنتره بن شداد:

خَطَفَ الظلامَ كسارقٍ من شَعرها
فكانما قَرَنَ الدّجى بدَياجي[٣]

(ديوان، ٢٠٠٢، ص٣٢)

(ل) ليلة مُدْلَهِمّة ؛ قال الأعشي الكبير:

تَجاوَزْتُهُ حتّى مَضى مَدْلَهِمّهُ
وَلاحَ مِنَ الشمسِ المُضيئةِ نُورها [٤]

(الحتّي، ص ١٧١)

(م) ليلة طخياء؛ قالت الخنساء

وَ رُفْقةٍ حارَ هاديهم بمهلكةٍ
كأنَّ ظُلْمَتَها في الطّخية اللقارُ

(ديوان، ١٩٩٣، ص ١٨٣)

وقال الراجز

وَلَيْلةٍ طَخياءَ يَرْمَعِلُ
فيها على السّاري ندىً مُخْضَلُّ [٥]

(ديوان، ص ٢٣٤)

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

(١٦) الليالي المضيئة

كما عبر الشعراء عن الليالي المضيئة بأقوال شتي، منها:

«الليل المُقمِر» قال الشنفرى

فقد حُمّت الحاجاتُ و الليلُ مُقْمِرٌ
وَشُدَّتْ، لطيّاتٍ، مطايا وَ أرحُلُ [٦]

(ديوان، ١٤١٧، ص ٥)

(ب) «ليلة البدر» ؛ قال زهير بن ابي سلمي:

لوكُنْتَ مِنْ شيءٍ سوى بشرٍ
كنتَ المنيرَ، لليلةِ البدْرِ

(ديوان، ص ٩٧)

وقال عنترة بن شداد:

وَبَـــدَتْ فقُلْـــتُ الـــبدرُ لـــيلةَ تِمّـــهِ
قـــد قلَّدَتـــهُ نجومَهـــا الجـــوزاءُ [٥٧]

(ديوان، ٢٠٠٢، ص ٧)

و وصفوا اشراق و ضياء الوجه فى الليل المظلم ايضاً، كما يلي:

قال امرؤ القيس:

تُضـــيءُ الظَّـــلام بالعشـــيّ كأنّهـــا
مَـنارةُ ممْســـــى راهـــبٍ متبـــتّلِ [٥٨]

(زوزني، ٢٠٠١، ص ٤٨)

وقالت الخنساء:

جَهْمُ المحيّا تُضيءُ الليلَ صورتُهُ
آبـاؤهُ مـن طـوالِ السَّـمكِ احـرارُ [٥٩]

(ديوان، ١٩٩٣، ص ٢٣٢)

الليل فى العصر الاسلامي

إن الاكثر غرابة عدم وجود عبارات ليليّة في العصر الجاهلي علي عكس من تاكيدات القرآن الكريم و الإسلام؛ فرب العالمين امر الانسان في آيات كثيرة، بقيام الليل للصلاة و العبادة ومنها: ومن اليل فاسجد له و سبّحه ليلاً طويلاً.[٦٠]

وفي كتاب الله العزيز سورةٌ باسم «الليل» فى الجزء الثلاثين، وكان اسراء رسول الله (ص) في الليل حيث قال جلّ شأنه: (سبحان الذي اسري بعبده ليلاً من المسجد الحرام الي‌المسجد الأقصي الذي بار كْنا حوله ...) و الليل فى القرآن الكريم أكثر شرفاً من النهار، اذنزل القرآن في الليل و قال الله عزّوجل: (انّا انزلناه في ليلة القدر)[٦١] و فضّل الله تعالي تلك الليلة علي الف شهر، و الملائكة إنما تنزل في تلك الليلة كما جاء في الأيتين الرابعه و الخامسه و يستمرُّ نزولها حتى مطلع الفجر و هو انتهاء الليل، و وحي‌الله ابتدأ نزوله في غار حراء فى الليل، وقد وردت كلمة (الليل) بصورة اسم مفرد (معرفة او نكره) في اكثر من ثمانين آيه، وقدذكر

القرآن الكريم الليل و النهار بأنهما آيتان، (وجعلنا الليل و النهار آيتين)[٦٢] ، و الجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم قدّم الليل على النهار في آياتٍ كثيره[٦٣] ،وقدم النهار على الليل في آيات قليلة[٦٤].

وجاء وعدالله جلّت قدرته للنبي موسى(ع) بحساب الليالي حيث قال تعالي، (و واعدناموسي اربعين الية[٦٥]) و قال ايضاً عزّاسمه: (و واعدناموسي ثلاثين ليلةً و أتممنا هابعشر[٦٦]).

سكون النفس فى الليل

سكون النفس فى الليل كما جاءَ في كتاب الله العزيز، فالباريُ المصوّر (جعل الليل سكنا[٦٧]) و (هو الذي جعل لكم الليلَ لتسكنوا فيه[٦٨]) و (ألم يروا انّا جعلنا الليل ليسكنوافيه[٦٩]) (ومَن اله غيرالله يأتيكم بليل تسكنون فيه[٧٠]) ، ومع ذكر سكون النفس في الليل، نخاطب قرّاءَ هذا البحث قائلين: عليكم أن تشكروا اللهَ عزّوجل، و كلكم تعلمون أنّ ربّكم (اللهُ الذي جعل لكم الليّل لتسكنوا فيه و النهار مبصراً إنّ الله لذوفضل على الناس و لكنَّ اكثر الناس لايشكرون[٧١])

مقازلة الليّل فى الأدب الجاهلي و فى العصر الاسلامي

الليل فى الأدب الجاهلي هو ليل خمور و فجور، كما قال امرؤ القيس: (فجئتُ و قد نَضَتْ لنوم ثيابها[٧٢]) وكما قال عنترة بن شداد: (لهوتُ بها و الليل ارخى سدوله[٧٣]) وكماقال الأعشي الكبير: (نام الخليُّ وبتُّ الليل مرتفقا[٧٤])...

و في العصر الاسلامي صار الليل عَبقاً بالصلاة و النجوى، كما في سورة هود (و اَقم الصلاة طرفى النهار و زلفاً من الليل[٧٥]) ، و فى الاسراء (ومِنَ الليل فتهجد به نافلةً لك[٧٦])و فى الزمر (أمَّن هوقانت آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الأخره[٧٧]) ، فاليل و التهجد فيه يوصل الانسان الي السعادة كما قال الله عزّوجّل: (ألله ولي الذين آمنوايخرجهم من الظلمات الي النور[٧٨]). صدق الله العلي العظيم.

الهوامش:

١- في هذه المقالة قد استفدنا من المعجم الوسيط في شرح الكلمات

٢- تقول: لايزال الدهر باقياً إلاّ أن الناس يهلكون

٣- الخَبَل: ضرب من الجن و الخابل: الشيطان، و الخلابلان: الليل و النهار، لأنهما لا يأتيان علي أحد الا خبلاه بهرم، و هو المقصود هنا، الجن: خلاف الانس و الجن من كلّ شيء : أوله و نشاطه و شدته.

٤- الكافر: الليل، سمي به لكفره الأشياء أي ستره، و الكفر: الستر، والجنان: الستر أيضاً. الثغر: موضع مخافة، و الجمع الثغور، و عورته أشدّ مخافة.

٥- الألّ: الحربة، المنصل: اسم فاعل من أنصل أي نزع نصل الحربة. و منصل الألّ: هو شهر رجب، كانت تنزع فيه الأسنّة من الرماح لأنّه كان شهراً حراماً لايقاتلون فيه، دأداء: آخر ليلة من رجب. العطب: التلف.

٦-الشّفق، بقيّة ضوء الشمس و حُمرتها في أوّل الليل، تُري في المغرب الى صلاة العشاء.

٧- بيضة خِدر: شبّه صاحبته بالبيضة لبياضها و رقتها. الخباء: البيت اذا كان من قطن أو وبر أوصوف أوشَعر.

٨- المعشر: القوم. الاسرار: الاظهار و الاضمار. جمعياً و هو من الأضداد.

٩- التعرض: الاستقبال، و التعرّض ابداء العُرض هو الناحية، و التعرّض الأخذ في الذّهاب عرضاً. الأثناء: النواحي، و الأثناء الأوساط و الوشاح: شبه قلادة من نسيج عريض يُرصّع بالجوهر، تشدُّه المرأة بلين عاتقها و كشحيها، المفضل: الذي فصل بين خرزه بالذهب أو غيره.

١٠- نضا الثياب ينضوها نَضواً : اذا خلعها . اللّبسة :حالة الملابس و هيئة لبسه الثياب. المتفضّل: اللّابس ثوباً واحداً اذا أراد الخفة في العمل.

١١- اليمين: الحَلِفُ . الغواية و الغَيّ: الضلالة و الانجلاء : الانكشاف.

١٢- المرط: المرط عند العرب كساء من خز أو من قزأو من صوف. المرحّل: المنقّش بنقوش تشبه رحال الابل.

١٣- الأرق: السهر

١٤- البيد، جمع بيداء : وهي الأرض الصلبة المستويه. اليعفور: ظبي تعلوه حمرة . الخَدر: الفاتر العظام البطيء عند القيام.

١٥- سباك: باعدك و أذهب عقلك، السُّمار، جمع سامر و هم المجتمعون ليلاً للسمر.

١٦- الفاجر هنا: الكاذب، و الصالي: المستدفي بالنّار.

١٧- يؤامرني: يشاورني . الشمول : الخمر،غادها: انتها صباحاً في الغداة.

١٨- أرحنا أراح الرحل، رجعت اليه نفسه بعد الآعياء، و صار مستريحاً . جدّ الصبوح، جد : نشاط.

١٩- الجونة : الخابية السوداء . حَدّادها: خمّارها و صاحبها الذي يحدّ الناس أى يذودهم منها لنفاستها.

٢٠- تنخّلها: اختارها .بكار العطاف: اول العناقيد.

٢١- الآدماء: الناقة الصادقة البياض، السوداء ألأشفار، مقتادها: غلامها الذي يرعاها.

٢٢- مغزار: كثير. مدرار: يصُبُّ صبّاً ويسُحّ سَحاً.

٢٣- العُوّار: الأنسان الذي في عينه شبهُ الحصاة أو العود من الرّمد.

٢٤- رعي النجوم رَعْياً و راعاها: راقبها و انتظر مَغيبَها، و قولها: « أرعي النُجوم...» أي : أبينُ قاعدةً و أتغطي بخُلّان ثيابي.

٢٥- العلم: الجبل، و السعدي: نسبة إلي بني سعد بن قيس، من أجداده . الغادية : السحابة.

٢٦- الجفار: موضع بالبصرة، و قيل بمكة، كثير المياه.

٢٧- هرت الكلاب: نبحت، عقورها: كلب الذي يعقر الضيف .

٢٨- جبان الكلب: اي إن كلبه لايعقر الضيوف. الشّحّ: البخل او الحرص.

٢٩- تجِمّ: تستريح.

٣٠- تاوبني: اتاني مع الليل.

٣١- المخرم: الثنيةُ في الجبل و الجمع المخارم.

٣٢- يضغي يتصوّرجوعاً . الخسيس: الصوت الخافت.

٣٣- الخَصْر: شدة البرد.

٣٤- قوله: «اذا البازل الكوماء ...» يصف شدة الزمان و برده، البازل: المسنة من الإبل و هي اجلدها و اقواها.

٣٥- النحس: ضد السعد، الأمر المظلم، الريح الباردة، و هو المراد. الأقطع: نصل قصير عريض، السهم.

٣٦- مرابيع، النجوم: الأنواء الربيعية، و هي المنازل التي تحلها الشمس فصل الربيع. و الصوب: الإصابة يقال صابه امر كذا و اصابه بمعني. و الودق و الجود: المطر و الرّواعد: ذوات الرّعد من السحاب. و الرُهام و الرُهم: جمعا رَهمة، و هي المطرة التي فيه لين.

٣٧- السارية: السحابة الماطرة ليلاً و الجمع السواري. المدجن: الملبس آفاق السماء بظلامه لفرط كثافته. الإرزام: الصوت.

٣٨- الشِعب: الطريق فى الجبل، و شل الثوب: خياطة خفية، شكس: ضيق والمجامع: هي ما اجتمع من الرمل، الصوحان: وجها الجبل القائمان و حائطا الوداي و الشعب، و نطاف مخاصر: قليلة صغيرة

٣٩- تعسّفه من التعسيف و هو السير على غير علمٍ و لاهدايه و لاثر.

٤٠- الفرقدان: نجمان، قوله: «هداني اليك الفرقدان»، يعني: انه سري بالليل في سيره اليه، فاهتدي بالنجوم. اللاحب: الطريق الواضح، الأصواء، جمع صوي و الصوي، جمع صوّة و هي المكان المرتفع، المتان: الجمع متن، و هو المكان الصلب المستوي، العلوب، جمع علب: و هو الأثر.

٤١- النئيم، صوت القوس، وقداستعارها للبوم. الضوع: طائر اسود يشبه لونه لون الغراب.

٤٢- ايمت نسواناً: تركتهن أيامي: أيّم: المرأة لازوج لها، الارملة. الليل الأليل: الشديد الظلمة.

٤٣- حسم: موضع بالبادية، لاتحوري: لاترجعي.

٤٤- الذنائب: الموضع الذي قتل فيه كليب.

٤٥- الفرقدان: نجمان قريبان من القطب الشمالي يهتدي بهما. بغيض: مبغض. افاضته: دفعة الي اللعب. القمير: من يقامرك.

٤٦- الفيافي: جمع فيفاء، المفازة لاماء فيها، معتكر: كثيرالظلم، الرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة و تستعر: تتقّد.

٤٧- القلوص: الناقة الطويلة القوائم، مطرق: يطرق بعضه فوق بعض و يزداد سواداً.

٤٨- دامس: شديد الظلمة: السراة: الأشراف.

٤٩- النكس: الجبان، الرذل، تجهم: كلح وجهه.

٥٠- الذوابل: القنا الرقيق اللاصق اللين. السمر: الرماح، القتام: غبار الحرب.

٥١- تلافيتها، تداركتها و صرت اليها ليلا. الصدي هنا: ذكر البوم؛ و هما طائران يصيحان فى الليل.

٥٢- كاب: متغيراللون، الحصّ: الزعفران، العظلم: الليل المظلم.

٥٣- دياجي الليل: حنادسه. يصف شعرها بالوفرة و شدة السواد.

٥٤- مدلهم الليل: سواده، و ادلهم الليل: اشتدّ سواده.

٥٥- الطخياء: الشديدة الظلمة. يرمعل: يسيل متتابعاً. المخضل: الندي الرطّب.

٥٦- حمت: قدرت و حضرت. الطيات: جمع الطية: الحاجة، النية.

٥٧- تمه: تمامه و الجوازء من البروج، و نجم يعترض في جو السماء.

٥٨- المنازة: السراج، الممسي: الإمساء. المتبتل: المنقطع إلى الله.

٥٩- الجهم: العابس. السمك: القامة: تقولك انه عايس دائماً في وجه الأعداء، مع ان وجهه مشرق يضي ظلام الليل و هو من اصل كريم.

٦٠- سورة الدهر (الإنسان)، آية ٢٦.

٦١- سورة القدر، الأية الاولي.

٦٢- سورة الاسراء، الآيه ١٢.

٦٣- ذكر الليل و النهار في أربعين آية، و قد تقدّمت كلمة الليل علي كلمة النهار.

٦٤- تقدمت كلمة النهار علي كلمة الليل في سبع آيات فقط في هذه السور: آل عمران و هود و الحج و لقمان و فاطر و الزمر و الحديد.

٦٥- سورة البقره، الآيه ٥١.

٦٦- سورة الأعراف، الأيه ١٤٢.

٦٧- سورة الأنعام، الأية ٩٦.

٦٨- سورة يونس الآية ٦٧.

٦٩- سورة النمل الأية ٨٦.

٧٠- سورة القصص، الآية ٧٢.

٧١- سورة غافر الأيه ٦١.

٧٢- الزوزني، شرح المعلقات السبع، صص ٤٤-٤٠.

٧٣- مجهول، شرح ديوان عنتره، ص ٢٩.

٧٤- اللاعشي، ديوان الكبير، ص ٣٦٥.

٧٥- سورة هود، الأيه ١١٤.

٧٦- سورة الاسراء، الأيه ٧٩.

٧٧- سورة الزمر، الأيه ٩.

٧٨- سورة البقره الأيه ٢٥٧.

المصادر:

١- القرآن الكريم

٢- ابن الورد، عروة: الديوان، (١٩٩٤ م)، شرح ابن السكيت، بيروت، دارالكتب.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

٣- ابوالعباس، ثعلب (١٩٩٢ م)، شرح ديوان زهير، بيروت، دارالكتاب العربي.
٤- ـــــــ، (١٩٩٣ م) شرح ديوان الخنساء بيروت، دارالكتاب العربي.
٥- الأعشي، ميمون بن قيس (بدون تاريخ) الديوان، مصر، مكتبة الاداب.
٦- امروءُ القيس، (١٩٦٤ م)، ديوان،القاهره، دارالمعارف.
٧- البستاني، بطرس،(١٩٩٧م)، أدباء العرب، القاهره، دارالمعارف.
٨- تأبط شراً : (١٩٩٩م) الديوان، بيروت، دارالغرب.
٩- الحموي، ياقوت(بدون تاريخ)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر.
١٠- الزوزني، ابوعبدالله (٢٠٠١ م) شرح المعلقات، دمشق، دارالارشاد.
١١- الشنتمرى، الأعلم : (١٩٩٣ م) شرح ديوان علقمة الفحل، بيروت دارالكتاب العربي.
١٢- ألشنفرى، ديوان، (١٤١٧ هـ ١٩٩٦م) الطبعة الثانيه، بيروت، دارالكتاب العربي.
١٢- ضيف، شوقي: (١٩٩٨ م)، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، مصر، دارالمعارف .
١٣- عجّان، محمود (٢٠٠١ م) الليل و العين فى التراث الموسيقي و الشعري، دمشق، وزارة الثقافة.
١٤- الفاخوري، حنا(١٩٩١ م)، الموجز في تاريخ الادب العربي، بيروت دار الجيل.
١٥- لجنة من الاساتذه، (١٣٧٩ه. ش) المجاني الحديثة ج ١، ايران، منشورات ذوي القربى.
١٦- خنساء: (١٨٩٦ م) شرح ديوان الخنساء، بيروت الكاثوليكية، بيروت.
١٧-عنتره، (٢٠٠٢ م) شرح ديوان عنترة، بيروت دارالكتب العلمية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی